أثر السِّياق في فهم القراءات القرآنية "دِراسة تداولية"

الأستاذ/ أيمن الشاذلي حسن حبيب
قسم اللغة العربية– كلية اللغات
جامعة المدينة العالمية بماليزيا
الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الواسع إسحاق ناصر الدين
قسم اللغة العربية
كلية اللغات
جامعة المدينة العالمية بماليزيا
الأستاذ الدكتور/ يوسف مُحَمَّد عبده مُحَمَّد العواضي
قسم القرآن وعلومه
كلية العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية بماليزيا

المستخلص

السِّياقُ مفهوم دَلَاليٌّ، وآليّةٌ تَداوليةٌ مُهِمَّةٌ في تفسيرِ النصوص؛ فهو يَشملُ النَّصَّ، ومَا وراءَ النَّصِّ، وقد عَرَفَه الفِكْرُ العَرَبِيُّ قَديمًا، فهو عِندهم يُعرفُ بـ"المقام"، أو "مُقتضى الحال"، والتصقَ هذا المفهومُ –المقامُ، أو مُقتضى الحال– بالقرآنِ الكريم، فَعُرِفَ عندَهم بأسبابِ النُّزول؛ التي عُدَّتْ أساسًا في فَهْمِ القرآن الكريم وتدبره.وليس من اليسيرِ الفصلُ بين أنواعِ السِّياق المختلفة؛ فَالسياقُ –جميعًا– وَحدةٌ كُلِّيَّةٌ ذاتُ أجزاء مُتَضَامَّة، تُسْهم جميعُها في فَهْمِ مُراداتِ المتكلم، وتوجيهِ مقاصدِه على نحوٍ صحيح، أو أقربَ إلى الصَّحيح، وتَكمنُ مشكلةُ هذا البحثِ في السؤالِ التَّالي: كيفَ يُسهمُ السِّياق –تداوليًّا– في فَهمِ وتفسيرِ القراءاتِ القرآنية؟ كما أنه يَهدفُ إلى بيانِ دَوْرِ السياق –كأداة تداولية– في بيانِ المعنى الدقيقِ للألفاظ القرآنيةِ بقراءتها المختلفة في سياقاتها المتنوعة؛ لِتأكيدِ أن القراءاتِ القرآنيةَ –على اختلافها– هي وجهٌ مِن وجوهِ الإعجازِ الاستعماليّ في القرآنِ الكريم، كرسالة تبليغيةٍ، واتّصالية Communication بين المتداولين. وتعتمدُ هذه الدراسةُ على المنهجِ الوصفيّ التَّحليلي الذي يَرْصُدُ الظَّاهرةَ ويحُللها؛ لِيستشرفَ المستقبلَ بالنتائجِ التي تَوَصّل إليها، وقد اعتمدتِ الدراسةُ على أداةِ الملاحظةِ لِتفسيرِ القراءةِ القرآنيةِ في سياقاتها المختلفة.ومِنْ أهَمّ النتائجِ التي تَوصلَ لها البحثُ: أن السِّياقَ أداةٌ مُهمةٌ في فَهْمِ النُّصوصِ عَامَّة، والنصِّ القرآني خاصة، وأن السياقَ أداةٌ مُهمة في ترجيحِ المعاني، وأنه يمكنُ فهمُ القراءاتِ القرآنيةِ فهمًا صحيحًا في ضوءِ النَّظرية السِّياقية، وإثباتِ أنَّه لا تعارضَ بين هذه القراءات.

الكلمات الدلالية: السِّياقُ، التَّداوليةُ، القراءاتُ القرآنية.

Abstract

Context is a semantic concept and an important pragmatic mechanism in the interpretation of texts and includes the text and what is beyond the text. It was introduced in the Arab thought in the past for they referred to it as *Al-Maqam* (connection or context), or *muqtadha alhal* (as the situation dictates). This concept *Al-Maqam* or *muqtadha alhal* was attached to the Holy Quran, so it was known to the Arabs as the reasons of revelation, which is mainly a tool for understanding and contemplating the Holy Qur'an. It is not easy to separate the different types of contexts. All the context is a unitary whole with interconnected parts all of which contribute to understanding the intentions of the speaker, and discussing his intentions in a correct way, or closer to the right. The research problem lies in the following question: How does the context pragmatically contribute to the understanding and interpretation of Qur'anic qiraat? It aims to indicate the role of context as a pragmatic tool for explaining the precise meaning of the Qur'anic terms in their different modes of recitation (qiraat) in their various contexts and to confirm that the Qur'anic recitations- of all kinds- are one of the aspects of the usage miracle in the Holy Qur'an as a proclamatory and communicative message among communicators. This study adopted the descriptive analytical methodology that monitors the phenomenon and analyzes it to foresee the future with the results that it reached. The study relied on the observation tool to interpret the Qur'anic mode of recitation in its various contexts. One of the most important results of this research is that the context is an important tool in understanding the texts in general and the Quranic text in particular. Moreover, context is an important tool in weighting the meanings, and that Qur'anic modes of recitation can be properly understood based on the contextual theory, and that there is no contradiction between these modes of recitation.

Keywords: context, pragmatic, the Qur'anic modes of recitation

مقدمة البحث:

لا شَكَّ أنَّ السِّياقَ إحدى الدَّوَالِ المهمةِ في فهمِ النَّص وتفسيرِه على مُراد المتكلم، كما أنَّه إحدى أهمِّ الآلياتِ التَّداولية، تلكَ التَّداولية التي أَضْحَت أبرزَ مناهجِ الدَّرسِ اللِّسَانيّ الحديثِ، وليستِ النظريةُ السِّياقيةُ غريبةً عن التُّراثِ العربيّ والإسلاميّ؛ فقد عَرَفَها المشتغلون بالنصِّ الأدبي عُمومًا، والنصِّ القرآني خصوصًا، وقد لازمَ السياقُ -بأنواعه- تفسيرَ النصِّ القرآني ذاتِه فيما عُرِفَ بأسبابِ النُّزول.

وتظهرُ أهميةُ "السّياق" في أنه أداةٌ حَاكمةٌ في فَهْمِ النَّصِّ وتأويلِه تأويلًا مُناسبًا؛ حتى لا يَعْتَورَه تناقضٌ، ولا يشوبُه تَعارض، كما أنه يُسهم في ضَبْطِ حَرَكَةِ النَّص، وفَهْمِ العَلاقاتِ بين أجزاءِ مفرداته وتراكيبه؛ مما يُمكّن المتلقي مِن فَهْمِ النَّص وتفسيرِه تفسيرًا عِلميًّا لا يخضع لهوى أو يقعُ تحتَ تأثيرِ نظرةٍ جُزئية في أيَّةِ مرحلةٍ مِنْ مراحلِ النَّظرِ والتَّدبر.

وقدْ دَفَعَني إلى هذا البحثِ نُدرةُ الواردين عليه. بل لا أعلم مِن كُتُبٍ عَنْ دَوْرِ السّياقِ في تأويلِ القراءاتِ القرآنيةِ تفسيرًا تداوليًّا؛ مما حَداني إلى تجليةِ هذه المسألةِ وبيانها.

ويأتي هذا البحثُ الموسومُ بـ"أثرُ السِّياق في فهمِ القراءاتِ القرآنية" إضافة مهمة في الدَّرس اللساني؛ إذ ينظر إلى القراءات القرآنية نظرة كإحدى صور التداول النَّصي بين أبناء البيئة اللغوية؛ لتتحقق تداولية النص القرآني الذي نزل ذكرًا للعالمين.

ويسعى هذ البحثُ "المستل من بحثي لدرجة الماجستير، وهو بعنوان: الأبعاد التداولية في القراءات القرآنية" إلى الإجابةِ عن السؤال التالي: مَا أثرُ السّياقِ في فهمِ وتفسيرِ القراءة القرآنية مِنَ المنظورِ التداولي؟

كما أنه يجيبُ عن: هل هناك عَلاقة بين السِّياق ودلالةِ القراءةِ القرآنية؟

ويهدفُ بذلك إلى إيجادِ عَلاقة بين السِّياق من ناحية، والقراءة من ناحية أخرى، وإلى إثباتِ أنه لا تعارضَ بين قراءةٍ وأخرى، بما يؤُكدُ وَحدةِ النَّسيج القرآني، ويُتيحُ له التداولَ بلا ريبٍ أو تَرَدُّد.

واقتضتْ طبيعةُ هذا البحثِ الموسومِ بـ: أثر السِّيَاق في فهم القراءات القرآنية "دراسة تداولية" أن يأتي في: مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة:

تحدثت فيها عن سببِ اختيار موضوعِ البحث، وأَبَنْتُ عَنْ مُشكلته، ووضَّحْتُ أهدافَه، وأظهرتُ أهميّته، وأشرتُ إلى الدّراساتِ السابقة فيه، والمنهجِ الذي اعتمدتُ عليه.

التمهيد: في التَّداوليَّة: النَّظريَّة والمفهوم.

المبحث الأول: مبحثٌ نَظَرِي، يتناول مفهوم كُلٍّ مِنَ السِّياقِ والقراءةِ القرآنية.

المبحث الثاني: مبحثٌ تَطبيقي على القراءاتِ القرآنيةِ المتواترة، وقد اخترت أربعةَ نماذجَ تَطبيقية على هذه الدِّراسة.

الخاتمة: وفيها نتائجُ البحثِ.

مُشكلة البحث:

تتمثل مشكلةُ البحثِ الرئيسة في "هل يمكن تناولُ القراءةِ القرآنيّة –كقرآن كريم– من منظورٍ تداوليٍّ، عن طريقِ توظيفِ أدواتِ التّداوليَّةِ ومنها "السِّياق" في بحثٍ وتحليلِ مضامينِ الخطابِ في القراءات القرآنية، وفَهْمِ مَقاصده في هذه القراءاتِ؟

أسئلة البحث:

ومِن الأسئلةِ التي يثيرُها هذا البحثُ:

– هل تَصلحُ التّداوليّة "ومنها السياق" لدراسة النَّصِّ القرآني بقراءاته؟

– ما دور السياق في توجيه المعنى في القراءات القرآنيَّة؟

– ما المقاصد العمليَّة التي نحقّقها من خلال تطبيق "السياق" كبعد تَداوليٍّ على القراءات القرآنيَّة؟

أهداف البحث: تسعى هذه الدراسة إلى:

– الإجابةِ عن الأسئلة السَّابقة.

– دراسةِ نماذجَ من القراءاتِ القرآنيةِ المتواترةِ من خلالِ آلية السياقِ كآلية تداولية.

– التأكيدِ على أنَّ السياقَ يساعدُ على فَهم وتأويلِ وتداولِ القراءة القرآنية.

أدبيات البحث:

أهمية البحث:

تأتي أهميَّةُ هذه الدراسةِ في أنَّها إضافةٌ جديدةٌ في مجال الدراسات التداوليَّة، فهي تشقُّ طريقَها مُتفرّدة بين العديدِ من الدراساتِ التي تناولتِ القرآنَ الكريمَ من مَنظورِ "السياق" كآلية تداوليَّة، من حيث تركيزها على القراءةِ القرآنيَّة المتواترة.

الدراسات السَّابقة:

لا شكَّ أن الدراساتِ التداوليةَ التي تُقاربُ النصَّ القرآني في قراءاتِه المتوترة قليلةٌ جدًّا، وأكثرُ هذه الدراساتِ قد اعتمدتْ على روايةِ "حفصٍ عن عاصم"، ومن هذه الدراساتِ التي قاربتْ السياقَ في فَهْمِ النّص القرآنِي دراسةٌ بعنوان "دَورُ السّياقِ في توجيهِ المعنى عند المفسرين (سورة يوسف– أنموذجًا) لـمنصور نور الدين، قاسم مفتاح (رسالة ماجستير)، ودراسةٌ بعنوان "دَلالة السياقِ في النَّصِّ القرآني" لعلي حميد خضير (رسالة ماجستير)، وهاتان الدراستان لم تتعرضا للقراءات القرآنية، التي هي محور هذا البحث، ولم يعثرِ الباحثُ كذلك بعد على أيَّةِ دراساتٍ تقاربُ القراءاتِ القرآنية من الناحية التداولية، وقد وقع تحت يدي الباحثِ دراسةٌ بعنوانِ: "السياق ودلالته في توجيه القراءات القرآنية": شاكر محمود حسين، وهي في الأصل رسالة دكتوراه في علوم القرآن، والفرق بينها وبين البحث الذي بين أيدينا، أن هذا البحث تناول القراءة القرآنية المتواترة من الناحية التداولية، وهو أمر قد خَلَتْ منه الدراسة المذكورة التي ارتكزت على توجيه القراءات القرآنية من الناحية التشريعية، وما تضمنته من مقاصد شرعية.

منهجُ البحث:

تَقوم هذه الدّراسةُ على المنهجِ الوصفيِّ التَّحليليِّ بصفتِه من أَوْسَطِ المناهجِ البحثيَّة في دراسة النّصوص التُّراثيَّة التَّاريخيَّة ذاتِ البُعد التَّواصليِّ، وَفْقًا لمفاهيمِ النَّظريَّة التَّداوليَّة.

حدودُ البحث:

يدرسُ هذا البحثُ نماذجَ من القراءاتِ القرآنيَّة "المتواترة" من خِلال (السِّياق) كـ: آليَّة تداوليَّة.

أدواتُ البحث:

لاحظ الباحثُ القراءاتِ القرآنيةَ المتواترةَ، واختار منها أربعةَ نماذج كَعَيِّنَةٍ تَطبيقية لتحليلها تداوليًّا مِنْ خِلَال قرينةِ "السِّياق".

واللهُ مِن وراءِ القَصد.

التمهيد

في التَّداوليَّة: النَّظريَّة والمفهوم

مفهوم التداولية:

كَثُرَتِ التعريفاتُ التي تناولت "التداولية"، فهم يُعَرِّفون "التداولية" بأنها: "أحدثُ فروعِ العلومِ اللغوية، وهي التي تُعنى بتحليلِ عملياتِ الكلامِ والكتابة، وَوَصْفِ وظائفِ الأقوالِ اللغويةِ وخصائصِها خلالَ إجْراءاتِ التواصلِ بِشكلٍ عام"(١).

أولًا: المفهوم اللغوي:

ورد هذا الجذر –دول– في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾(٢)، والمعنى: "كيلا يكونَ الفيءُ شيئًا يتداولُه الأغنياءُ بينهم ويتعاورونه، فلا يُصيب الفقراءَ، والدّاولةُ –بالفتح– بمعنى التَّداول، فالمعنى: كيلا يكون ذَا تَدَاوُلٍ بينهم، أو كَيْلَا يكونَ إمساكُه تداولًا بينهم لا يُخرجونه إلى الفقراء"(٣)(٤).

(١)فضل، صلاح، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، د.ط، ص٨.

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) العمادي، أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت (٨/ ٢٢٨).

(٤) الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي: **روح البيان**، د. ط، بيروت، دار الفكر، د ت، (٩/ ٤٢٨).

وجاء في "مقاييس اللغة": انْدَال القومُ، إذا تحولوا مِن مكانٍ إلى مكانٍ. ومن هذا الباب تَداولَ القومُ الشَّيءَ بينهم: إذا صارَ مِن بعضهم إلى بعض ... لأنه أَمرٌ يَتداولونه، فيتحولُ مِن هذا إلى ذاك، ومِن ذاك إلى هذا"(١). وذُكِرَ في موضعٍ آخر: "تَداولَ القومُ الشيءَ بينهم، إذا صارَ مِن بعضهم إلى بعض"(٢).

وهذا اللفظُ (التَّداولية) أو (التَّداول) قد جاءَ بصيغةِ اسمِ المفعولِ في "أساسِ البلاغة"، حيث قال صاحبه: "والمخايرةُ بين مُتداوَلاتِ ألفاظِهم، ومُتَعَاوَرَاتِ أقوالهم"(٣).

وجاء في "الكشَّاف": "وقيل: مُستعار بمعنى "مُتعاوَر" أي: مُتداول"(٤).

ويأتي "التَّداول" بمعنى "التَّعاطي"، قال تعالى: ﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾(٥)، ومعنى: "فَتَعَاطَى"، أي: "تَنَاولَ الحديثَ مَعَهم، فَأَخَذَ، وَأَعْطَى"(٦)، كما يأتي لفظُ "الشُّورى" في قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(٧) بمعنى: "تَعَاطي الرأي"، فَيُقَال: "تَداول مَعه على الأمرِ: تَشَاوَرَ مَعَه عَلى الأمر"(٨)، كما يأتي لفظُ

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زَكرياء، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، د.ط، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩م، مادة (دول)، (٢/ ٣١٤).

(٥) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زَكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، مادة (دول) ط٢، ص٣١٤.

(٣) الزمخشري، **أساس البلاغة**، ط١، (١/ ١٥).

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **أساس البلاغة**، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ط١، (٤/ ٦١٩).

(٥) سورة القمر: الآية ٢٩.

(٦) عبد الكريم يونس الخطيب: **التفسير القرآني للقرآن**، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د ت، (١٤/ ٦٤١).

(٧) **سورة الشورى**: الآية ٣٨.

(٨) رينهارت بيتر آن دوزي: **تكملة المعاجم العربية**، ط١، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، د ت، ط١، (٤/ ٤٤٨).

"التَّنَاسُخ" بمعنى "التَّداول"، يقال: "نَسَخَ" الأشياءَ، تَنَاسَخَ: تَدَاوَلَ، فيكونُ بعضُها مكانَ بعضٍ كالدُّوَلِ والمِلَلِ"[(١)].

ومما قالت العربُ كلمة: "دواليكَ" فهو من "المداولة"، وقالوا أيضًا: هو من "التَّداول"، ويقال: تَدَاولَ القومُ فلانًا، إذا تَعَاوَرُوه بِالضَّرب"[(٢)].

ولما بُويعَ بالخلافةِ لأبي العباس السَّفاح[(٣)] اعترضَه المحيس[(٤)] بن أرطأة الأعْرَجِيّ، فَقَال فِي ذلك[(٥)]:

أَهْـلًا وَسَـهْلًا بِخِيـارِ النَّـاس بِهاشـمِ أَهْـلِ النَّـدى والبَـاس

تَداولوهَـا يا بَـني العَبَّـاس تَـدَاوُلَ الأكْـفِّ لِلأمْـراس[(٦)]

فقال: نَعَمْ، إنْ شاءَ الله، وَأَمَرَ له بمائتي دينار.

وفي البيتِ حَثٌّ لِبني العباسِ عَلَى تَنَاوُبِ الخِلافة.

ويُستفاد من كل ما سبق أن "العربية" عرفت هذه اللفظة -التداول- جذرًا، وتصريفًا، ومعنى، وهي تدور حول: الأخذ والرد، والتَّعاور، والتعاطي، والتناسخ، وهي -تداول- في

(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي: **المحكم والمحيط الأعظم**، ت: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٠م، (٥/ ٨٤).

(٢) ابن دريد، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن: **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، **مادة (دول)**، ط١، (٣/ ١٢٧٣).

(٣) هو أول خلفاء بني العباس (١٣٢هـ- ١٣٦هـ).

(٤) هو (المحيس، المخيس، المخيس) بن أرطأة الأعرجي، أبو ثمال، الراجز: أول شاعر مدح بني العباس في خلافتهم. وهو راجز شامي. اشتهر في أيام مروان بن مُحَمَّد -آخر المروانيين من بني أمية في الشام- وعاش حتى مدح السفاح والمنصور والعباسيين. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، **الأعلام**، ط: دار العلم للملايين، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢، (٧/ ١٩٥)، وينظر: المرزباني، مُحَمَّد بن عمران، **معجم الشعراء**، ت: فاروق أسليم، ط دار صادر- بيروت، ص٥٧٩.

(٥) ينظر: الزمخشري، **ربيع الأبرار**، ط١، (٥/ ١٨٨).

(٦) البيت من السريع، والأمراس: الحبال، ومنه أمرس حبل البكرة: أعاده إلى مجراه.

البنية الصرفية على وزن تفاعل، وتدور حول التشارك بين طرفين لأمرٍ ما، وهو ما ينسجم مع المعنى الاصطلاحي لـ"التداولية".

ثانيًا: المفهوم الاصطلاحي:

يُعَدُّ مصطلح "التداولية" Pragmatiqe من أكثرِ المصطلحاتِ النقديةِ إثارةً للجدلِ؛ فالتداوليةُ تَتَقَاطعُ مع كثيرٍ من العلومِ الحديثةِ، وهذا ما يُعطي "التداولية" زَخَمًا معرفيًّا، وأبعادًا إجرائيةً أكثرَ مِن كثيرٍ من نظرياتِ تحليلِ المعاني.

والتداولية ذاتُ مستوياتٍ عِلمية مُتداخلة، فهي تتقاطعُ مع كثيرٍ من العلومِ والمعارف، كما أنها ليستْ مستوى يُضاف إلى هذه المستويات؛ لأنَّ كُلًّا منها يختصُ بجانبٍ مُحدد ومتماسكٍ من جوانبِ اللغة(١).

وهي ذاتُ نَسَبٍ مَع الفلسفةِ التحليلية(٢) Analytic philosophy، وعلومِ النفس، والاتصال وعلومِ اللغة الاجتماعية والنفسية ... إلخ، الأمر الذي يجعلها مرَكزًا معرفيًّا ونشاطًا إجرائيًّا مُهمًّا في معرفة أوجه تحليلِ الخطابِ وإجراءاته، فهي تهتمُ بالبنية اللغوية، كما أنها تهتمُ بقواعدِ إنتاج الخطاب.

فالتداوليةُ -إذن- عِلمٌ يُعنى بالعلاقة بين النصّ ومبدعِه وعناصرِ الموقفِ التواصلي المرتبطة بسياقِ النص، وهو في التراث القديمِ يُعرف بـ"مقتضى الحال"، كما أنها "تختصُ

(١٩) ينظر: نحلة، محمود أحمد، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، د.ط، مصر، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، د.ط، ص١٠.

(٢) وفي الفلسفة التحليلية "خضع مصطلح التداولية إلى عملية تضييق في مجاله. وقد كان للفيلسوف والمنطقي كارناب دوره، فقد ساوى بين "التداولية والسيمياء الوصفية" ينظر: **الاتجاه السيميائي في النقد المعاصر** من مجموعة محاضرات في مقياس المدارس النقدية المعاصرة.

بِتَقَصِّي كيفيةِ تفاعل البُنى اللغويةِ مع عواملِ السياقِ، لغرض تفسيرِ اللفظ ومساعدة السَّامع على رَدْمِ الهُوَّة التي تحصلُ أحيانًا بين المعنى الحرفي للجملة، والمعني الذي قَصَدَه المتكلم(١).

فالتداوليةُ بوصفها عِلمًا للتَّخَاطُبِ والتَّحَادُثِ والتَّحَاوُر Pragmatiqe يُترجمها اللسانيون بِعِدّة ترجمات، نذكر منها: عِلْمُ الاستعمال(٢)، وعِلْمُ التخاطب(٣)، وعِلْمُ المقَاصد، والإفعالية، والسِّياقية، والذرائعية(٤)، وحتى النَّفعية(٥). وترجمَ بعضُهم "البراجماتية" بـ: عِلْمِ المقاصد، أو المقاصدية(٦)، أو عِلْم الذرائع، أو الذّرائعية، أوِ النّفعية، أو العَمَلية، أو المقَامية، أو الفَوَائدية، أو الفَائِدَاتية(٧).

ومنهم مَن يرى أن ترجمتَه "بِعِلْمِ التَّخَاطُبِ أكثرُ قَبولًا"(٨)، وهذه الترجماتُ في الحقيقة ترجمةُ مفاهيمَ وأفكارٍ وآلياتٍ، لا ترجمةُ مُصطلحات، ولعل بعضَهم -كما أشرتُ قبل- أراد "أَسْلَمَةَ" المصطلح بِغَضِّ النَّظر عنِ الدّلالة، أو عدمِ احترامِ لخصوصيةِ المصطلحِ الغربي.

كما يرى الباحثُ أن هذا الخلافَ في ترجمةِ المصطلحِ لا يُغيرُ مِن طبيعةِ النظريةِ ومعطياتها المعرفية والتنظيرية، أو آلياتها التطبيقية، وَسَنُبْقِي -في هذه الدراسة- على مُصطلح "التداولية" لأنَّه أَخْصَرُ، وأكثرُ دَلالة على المضمونِ التَّفاعلي لِلغة، كما أنه أكثرُ خصوصية في الدرس العربي خاصةً إذا ما أردنا تأصيلَه لُغويًّا أو تُراثيًّا.

(١) من مقدمة المترجم "قصي العتابي" لكتاب **التداولية** لجورج يول"، د.ط، ص١٣.

(٢) وهذا الذي ارتضاه مُحَمَّد مُحَمَّد يونس علي، في كتابه **"مدخل إلى اللسانيات"** د.ط، ص١٢.

(٣) ترجم مُحَمَّد يونس علي "علم التخاطب"**بـ pragmatiqe**، ينظر: **مدخل إلى اللسانيات**، ص١٢.

(٤) وهذا لم يرضه مسعود صحراوي في **"التداولية عند العلماء العرب"**، ص١٥.

(٥) ينظر: درقاوي، مختار: **الآليات التداولية لتحليل الخطاب**، د.ط، د.م، د.ن، ٢٠١٤م، ص٢١٦.

(٦) وهو أكثر شهرة في علوم الشريعة خاصة الفقه.

(٧) ينظر: عكاشة، محمود، **النظرية البراجماتية اللسانية**، د.ط، القاهرة، مكتبة الآداب، د ت، ص١٤.

(٨) مُحَمَّد يونس علي: **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب** د.ط، ص١١، وللمؤلف كتاب سماه **"علم التخاطب الإسلامي"**.

المبحث الأول

(الإطار النظري)

في مفهوم السياق والقراءة

المطلب الأول: مفهوم "السياق" لغةً واصطلاحًا:

جاء في مقاييس اللغة: "السين والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو حَدْوُ الشيء"(١)، وورد في المعجم الوسيط: "وأما السّياقُ والقرائنُ الدَّالة على مُرادِ المتكلمِ فهي المرشدُ لبيانِ المجمَلات، وتعيينِ المحتمَلات"(٢). وورد فيه كذلك: "وسياقُ الكلامِ تَتَابُعه، وأسلوبُه الذي يجري عليه"(٣).

وجاء في القرآن الكريم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾(٥).

ويُؤخذ من هذا كُلِّه أن السياقَ هُوَ سَرْدُ الكلامِ بطريقةٍ مُتتابعة ومُنسجمة، والتناسقُ والتوالي في السّياق يُساعد على مَعرفةِ وتحديدِ هُويَّة الكلامِ والمتكلم معًا.

ويؤكدُ ابن تيمية(٦) على أهميةِ دَلالة السِّياق في تأويل النَّص، وما يصحبُ ذلك من قرائنَ كاشفةٍ عن مقصودِ المتكلم، فيقول: "إنَّ الدّلالة في كُلِّ مَوضع بحسبِ سِياقه، وما يَخُفُّ به من القرائن اللفظية والحالية"(٧).

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د.ط، مادة (سوق) (٣/ ١١٧).
(٢) الكفوي، أبو البقاء، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت. ص٦٠١.
(٣) إبراهيم مصطفى، وآخرون: **المعجم الوسيط**: د.ط، مادة (سوق) باب السين، (١/ ٤٦٥).
(٤) سورة السجدة: الآية ٢٧.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٥٧.
(٦) هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المشهور بابن تيمية، الملقب بـ: تقي الدين، عالم وفقيه ومحدث ومفسر، أحد أئمة السلف، من آثاره "الفتاوى"، "الإيمان" "الجمع بين النقل والعقل"، "منهاج السنة"، (٦٦١هـ- ٧٢٨هـ).
(٧) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **مجموع الفتاوى**، د.ط، الرياض، مجمع الملك فهد، ١٩٩٥م، د.ط، (٦/ ١٤).

يقول الإمامُ الشاطبي: "فلا محيصَ لِلمُتَفَهّمِ عن رَدِّ آخرِ الكلامِ على أَوَّلِه، وأَوَّلُه على آخِره، وإذ ذاك يحصلُ مقصودُ الشَّارِعِ في فَهْمِ المكَلَّفِ، فإنْ فَرَّقَ النَّظَرَ في أجزائِه، فَلا يَتَوَصَّلُ به إلى مُراده؛ فَلا يَصِحُّ الاقتصارُ في النظرِ على بعضِ أجزاءِ الكلام دونَ بعضٍ ..."[(١)].

ويُعرفه أبو درع[(٢)] فيقول: "السّياق إطارٌ عام تَنْتَظِمُ فيه عناصرُ النَّص وَوَحْدَاتُه اللغوية، ومقياسٌ تَتَّصِلُ بِوَساطته الجملُ فيما بينها وتترابط، وبيئةٌ لُغوية وتداوليةٌ تَرعى مجموعَ العناصرِ المعرفيةِ التي يُقدمها النَّصُّ للقارئ"[(٣)].

فالقرآنُ الكريم "نَصٌّ لُغَوي مُرْتَبِطٌ بِسياق حَالِيٍّ، والمعنى الصحيحُ لا يُفهم إلا في إطارِ التركيب، وسياقِ الحال، وغرضِ المتكلم، وقَصْدِه من الكلام"[(٤)].

المطلب الثاني: دَلالةُ السِّياق على فَهْمِ المعنى:

السِّياق أحدُ القرائنِ المهمةِ التي استند إليها المفسرون ومحللو الخطاب في فَهْمِ القرآن الكريم، ومن اللحظةِ الأولى لنزولِ القرآن كانتِ العنايةُ بما سُمي بـ"سَبب النزول"، وهو الذي عُرف بعد ذلك بـ"السياق"، يقول ابن تيمية: "ومعرفةُ "سَببِ النزول" يُعين على فهمِ الآية؛ فإنَّ العلمَ بالسببِ يُورثُ الْعِلْمَ بِالمسَبّب"[(٥)].

وكانتِ العربُ أكثرَ مِن غيرهم احتفاءً بـ"نظرية السِّياق"، فقد أَوْلَوْه أهميةً كبيرةً، واكتسب هو أهميتَه الكُبرى من خِلال القرآن الكريم، فاعتمدوا عليه في فَهْمِ النَّص القرآني، وأَلَّفُوا حَوْلَه ما عُرف بـ: كُتُبِ "الأشباه والنظائر"، وجعلوا لِلفْظِ الواحدِ أكثرَ مِنْ مَعْنى،

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى: **الموافقات**، ط١، السعودية، دار ابن عفان، ١٩٩٧م، (٤/ ٢٦٦).

(٢) أستاذ وباحث مغربي من مواليد عام ١٩٥٦م، وهو نائب رئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، من مؤلفاته منهج السياق وأثره في فهم النص، جوامع الكلم في البيان النبوي.

(٣) ينظر: عبد الرحمن بودرع، **منهج السياق وأثره في فهم النص**.
http://www.m-a-arabia.com/site/٨١٩٧.html

(٤) مسعود صحراوي، **الأفعال الكلامية عند الأصوليين**، مجلة اللغة العربية، عدد١، ٢٠١٤م، ع١٠، ص١٧٩.

(٥) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، د.ط، (١٣/ ٣٣٩).

والَّذي يُفَرِّق في ذلك هُو "السياق"؛ فـ"الاحتفاءُ بالقرائن أمرٌ اعتنى به العلماءُ على اختلافِ مشاربهم؛ مِنْ فُقهاء، ومُفسرين، وأصوليين، وبَلاغيين، ونحويين"(١).

وقد عَدَّ علماءُ الفقه وأصولِه "السِّياق" -كذلك- مُرَجِّحًا للأحكامِ الفقهية، وهذا مَا أَكَّدَ عليه "عبد الرحمن أبو درع" حين قال: "ويضبطُ السياقُ حركاتِ الإحالةِ بين عناصرِ النَّص"(٢).

وذهبوا إلى "أن الألفاظَ لا تَتَفاضلُ مِنْ حَيثُ هي ألفاظٌ مُجردة، ولا من حيثُ هي كَلِمٌ مُفْرَدَة، وأنَّ الفضيلةَ وخلافها، في ملائمة معنى اللفظةِ لمعنى التي تليها"(٣)، فالمقامُ هو الذي يُساعدنا على تبيانِ العلاقةِ بين الكلامِ وما يُومئُ إليه في الواقع، والمقامُ هو الذي يوضحُ العلاقةَ بين مُرسلِ الكلام ومُتلقيه"(٤).

فـ"كلامُ العربِ يُصححُ بعضُه بعضًا، ويرتبطُ أَوَّلُه بآخره، ولا يُعرفُ معنى الخطابِ منه إلا باستيفائه، واستكمالِ جميعِ حروفِه، فجازَ وقوعُ اللفظةِ على المعنيين المتضادين؛ لأنه يتقدمها، ويأتي بعدها ما يَدُلُّ على خصوصيةِ أحدِ المعنيين دُونَ الآخر، ولا يُراد بها في حالِ التكلم والإخبارِ إلا معنى واحد"(٥).

كذلك، فَإِنَّ "المساقاتِ تختلفُ باختلافِ الأحوالِ والأوقاتِ والنوازل، وهذا معلومٌ في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكونُ على بالٍ من المستمع، والمتفهم، والالتفات إلى أَوّلِ الكلام

(١) إيهاب عبد الحميد، **شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام**، رسالة ماجستير، د.ط، ص٢٩٢.

(٢) ينظر: عبد الرحمن بودرع، **منهج السياق وأثره في فهم النص**.
http://www.m-a-arabia.com/site/٨١٩٧.html

(٣) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، ط٣، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٩٢م، ص٤٦.

(٤) موريس أبو ناضر، **إشارة اللغة ودلالة الكلام**، د.ط، ص٨٥.

(٥) الأنباري، مُحَمَّد بن القاسم: **الأضداد**، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٧م، ص٢.

وآخره، بِحَسْبِ القضيةِ وما اقتضاه الحالُ فيها، لا يُنظر في أَوَّلِها دُونَ آخِرِها، ولا في آخِرِها دُونَ أَوَّلِها"(١).

ويُوَضِّحُ الشَّيخ "السعدي" أهميةَ "السِّياق"، فيقول: "فالنظرُ لِسِياقِ الآياتِ مع العلمِ بأحوالِ الرسول وسِيرته مع أصحابه وأعدائِه وقتَ نُزوله، مِنْ أعظمِ ما يُعين على مَعرفته، وفَهْمِ المرادِ منه"(٢).

وتظهرُ وظيفةُ "السِّياق" في أنه "يُرشدُ إلى تبيين المجْمَل، وتعيينِ المحْتَمَل، والْقَطْعِ بِعدمِ احتمالِ غيرِ المرادِ، وتخصيصِ العام، وتقييدِ المطْلَق، وتنوعِ الدَّلالة، وهذا من أعظمِ القرائن الدَّالة على مُراد المتكلم، فَمَنْ أَهْمَلَه غَلَطَ في نَظَرِه وغَالَطَ في مناظرته"(٣).

ويذهبُ "أبو دَرع" إلى أنَّ السّياقَ هو "الصورةُ الكُلِّيَّةُ التي تنتظمُ الصورَ الجزئيةَ، ولا يُفْهَمُ كُلُّ جُزْءٍ إلا في موقعِه مِنَ "الكُل"، وقد أثبتَ العِلْمُ أن الصورةَ الكُلِّيَّةَ تتكونُ مِن مجموعةٍ كبيرةٍ مِنَ النقاطِ الصغيرةِ أو المتشابهةِ أو المتباينةِ، التي تدخلُ كُلُّها في تركيبِ الصورة"(٤).

كَمَا يَتمثلُ هذا السياقُ كَذلكَ في العلاقاتِ "الصَّوتيةِ والصَّرفيةِ والنَّحْويةِ والدَّلاليةِ بين الكلماتِ في تركيبٍ مُعَيّنٍ منْ خِلالِ تَرابطِ المعاني، ويذهبُ "دي سُوسير" إلى أنَّ الكلمةَ "لا تكتسبُ قيمتَها إلا بفضلِ مقابلتها لما هو سابقٌ، ولما هُو لاحقٌ بها، أو لِكِلَيهما معًا"(٥).

(١) الشاطبي، **الموافقات**، ط١، (٤/ ٢٢٦).

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ص٣٠.

(٣) ابن قيم الجوزية مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب، **بدائع الفوائد**، د.ط، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، د.ت، (٤/ ١٠).

(٤) ينظر: عبد الرحمن بودرع، **منهج السياق وأثره في فهم النص**.
http://www.m-a-arabia.com/site/٨١٩٧.html

(٥) فرديناد دي سوسوسير، **في اللسانيات العامة**، ترجمة: يوسف غازي، مجيد نصر، د.ط، الجزائر، المؤسسة الجزائرية، ١٩٨٦م، ص١٤٩.

المطلب الثالث: في مفهومِ القراءات:

أولًا: المعنى اللغويُّ للقراءة:

مُصطلحُ "الْقِراءة" مصطلحٌ رافقَ القرآنَ الكريمَ من أَوّلِ ساعةِ نُزوله على قلبِ النبي مُحَمَّد ﷺ، فالإجماعُ عَلى أنَّ أوَّلَ آيةٍ نزلتْ في "القرآنِ الكريمِ" كانتْ مُصَدَّرةً بِفعل الأمر "اقْرَأْ"، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[1]، وبهذا كانتِ "القراءةُ سابقةً على الكتابةِ كَما هو معروف"[2].

وهذا الفعلُ –فعل الأمر– لَه بُعْدٌ تَدَاولي تَخاطبي، فهو يَقْتَضِي وجودَ مخَاطِب، ومخاطَب، ورِسَالة تَضَمُّنِيّة، تتمثل في (الأمر بالقراءة)، وزمانٍ (في حوالي ٥٧٠ م) ومكانٍ (غار حراء)

(خَطاطة الفعلِ "اقرأ" ٣-٣)

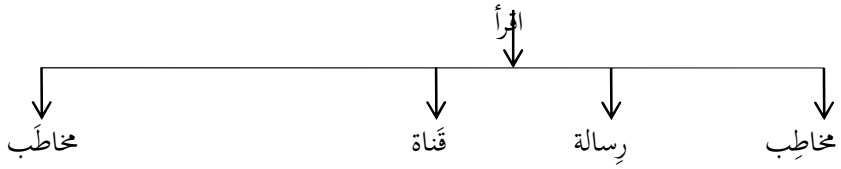

ثانيًا: المعنى الاصطلاحيُّ للقراءة:

تُعَرَّفُ القراءاتُ القرآنيةُ بأنها: "عِلْمٌ بِكيفية أداءِ كلماتِ القرآنِ واختلافِها مَعْزُوًّا لِناقله"[3]، أو هي: "مَذْهَبٌ يَذْهَبُ إليه إمامٌ مِنَ الأئمةِ مُخالفًا به غيرَه في النُّطقِ بالقرآنِ

(١) من سورة العلق: الآية ١.

(٢) شعبان مُحَمَّد إسماعيل: **رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة**، ط٢، ص٥٥، والذي يراه الباحث –والله أعلم– أن سبب اختلاف القراءات واحد لا يتعدد، وهو الذي عنون بـ"نزول القرآن على الأحرف السبعة"؛ ولكن هذا السبب يتوقف في وجوده على سبب آخر؛ وهو وجود اللغات واللهجات المختلفة، فيندرج في ذلك كل الخلافات القرآنية.

(٣) ابن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، ط١، ص٣.

الكريم، مع اتِّفاقِ الرواياتِ عنه"، وهي: "اختلافٌ في اللهجات[١] وكيفيةِ النُّطْقِ، وطُرُقِ الأداءِ فقط، مِنْ إدغامٍ وإظهارٍ، وتفخيمٍ وترقيقٍ، وإمالةٍ وإشباع، ومَدٍّ وقَصْرٍ، وتَشْدِيدٍ وتَخْفِيفٍ، وتَلْيِين ... إلخ، نَزَلَ بها جبريلُ على النبي ﷺ، فأقرأها رَسولُ الله ﷺ صحابتَه"[٢].

وكتبةُ الوَحْي الذين كتبوا الوحيَ عنْ رسولِ الله ﷺ كانوا من قبائلَ شَتَّى، وكُلٌّ له لِسَانُه، فكانوا "في سَعَةٍ من أمرِهِم في قراءةِ القرآن: كُلٌّ يقرؤُه بِلَحْنِ قَوْمِه، حتَّى إذا آنسَ أحدُهم اختلافًا في قراءةٍ سَمِعَهَا من إنسانٍ عَمَّا أقرأَه الرسولُ ﷺ هُرِعَ إليه شاكيًا، فَسَمِعَ الرسولُ ﷺ مِن كُلٍّ قراءَته، فَأَقَرَّه عليها قائِلًا: «**هَكَذَا نَزَلَتْ**»[٣].

إِذَنْ: فَـ"إضافةُ "قِراءة" أو "قِراءات" إلى القرآنِ تُخَصِّصُ مَعنى القراءةِ أوِ القِراءات مِن ذلكَ المعنى اللُّغوي العَامِّ"[٤].

أقسامُ القراءات:

القراءةُ المتواترةُ هِي: "كُلُّ قراءةٍ وافقتِ العربيةَ ولو بِوَجْهٍ، ووافقتْ أحدَ المصاحفِ العُثمانية وَلَوِ احتمالًا، وصَحَّ سَندُها، فهي القراءةُ الصحيحةُ التي لا يجوزُ رَدُّهَا، ولا يَحِلُّ إنكارُها؛ بَلْ هي من الأحرفِ السَّبعة التي نَزَلَ بها القرآنُ، ووَجَبَ على النَّاس قبولُها، سواءً كانتْ عنِ الأئمة السبعةِ، أم عَنِ العَشَرَة، أم عن غيرهم من الأئمةِ المقبولين، ومتى احْتَلَّ رُكْنٌ مِن هذه الأركانِ الثلاثةِ، أُطْلِقَ عليها: ضَعيفة أو شَاذَّة، أو بَاطلة"[٥].

(١) ينظر: عباس، **غذاء الجنان بثمر الجنان**، د.ط، ص٢٤٣.

(٢) مُحَمَّد بكر إسماعيل: **دراسات في علوم القرآن**، ط٢، ص٨٨.

(٣) ينظر: سعيد الأفغاني: **مقدمة كتاب "حجة القراءات"** لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، د.ط، ص٨.

(٤) صلاح الخالدي: **القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، ط١، ص٦٤٤.

(٥) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، د. ط، (١/ ٩)، **وينظر**: ابن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**: ط١، ص١٨، وينظر: عبد اللطيف الخطيب: **معجم القراءات**، د. ط، (١١/ ١٥).

وعَلَّق "السُّيوطي" على ذَلك فقال: "هذا هو الصحيحُ عِند أئمةِ التَّحقيق منَ السَّلَفِ والخَلَفِ، صَرَّحَ بذلك الدَّاني[١]، ومَكِيٌّ[٢]، والمهدويُّ[٣]، وأبو شامة[٤]، وهو مذهبُ السَّلف الذي لا يُعرف عن أحدٍ منهم خِلافُه"[٥].

وتنقسمُ القراءةُ الصَّحيحةُ إلى قسمين:

القسم الأول: "ما صَحَّ سندُه بِنَقْلِ الْعَدْلِ الضَّابطِ عنِ الضابطِ كَذَا إلى مُنتهاه، ووافقَ العربيةَ والرَّسم ..."[٦].

القسم الثاني مِنَ القراءةِ الصَّحيحة هو: "مَا وافقَ العربيةَ، وصحَّ سندُه، وخالفَ الرَّسْمَ، كما وَرَدَ في صحيحٍ مِن زيادةٍ ونقصٍ، وإبدالِ كلمة بأخرى، ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدَّرْداء[٧]، وعمرَ[٨]، وابنِ مسعود[٩] وغيرهم، فهذه القراءةُ تُسمى اليومَ شَاذَّة؛ لكونها

(١) هو أبو عمرو الداني، المعروف بـ: ابن الصيرفي، ولد في الأندلس (٣٧١هـ) وهو إمام في القراءات، والتفسير والحديث، من كتبه "جامع البيان في السبع" و"التيسير في القراءات السبع"، توفي سنة (٤٤٤هـ).

(٢) مكي بن أبي طالب (٣٥٥- ٤٣٧هـ) إمام في القراءات والإعراب، مشكل إعراب القرآن لمكي، الإبانة عن معاني القراءات مشكل إعراب القرآن.

(٣) أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي المقرئ المجود من أهل المهدية في المغرب، كان مقدمًا في القراءات والعربية، من مؤلفاته التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، شرح الهداية إلى مذاهب القراء السبعة (ت ٤٤٠هـ).

(٤) هو الإمام أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة (٥٩٦هـ- ٦٦٥هـ) فقيه ومحدث ومؤرخ، من مؤلفاته: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، إبراز المعاني (في شرح الشاطبية).

(٥) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، د. ط، (١/ ٢٥٨).

(٦) ابن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**: ط١، ص: ١٨، ١٩.

(٧) هو الصحابي الجليل أبو الدرداء الأنصاري، فقيه، وراوية حديث، واشتهر بالقراءة (ت ٣٢هـ).

(٨) هو الصحابي الجليل عمر بن الخطاب، أبو حفص (ت ٢٣هـ).

(٩) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، فقيه ومقرئ ومحدث، (ت ٣٢هـ).

شَذَّتْ عَنْ رَسْمِ المصحفِ المجمعِ عَليه، وإن كان إسنادُها صحيحًا، فلا تجوزُ القراءةُ بها لا في الصلاةِ، ولا في غيرِها"(١).

المطلب الثالث: اختلاف القراءات وفلسفة التَّداول:

يأتي مصطلحُ "القراءات القرآنيَّة" في صميمِ القراءاتِ المتعدّدةِ للنَّصِّ، فالنّصُّ متعدّدُ القراءاتِ هو النَّصُّ الذي يأتي في مقدّمةِ النُّصوصِ الَّتي تحقّقُ معايير النَّصّيَّة، كما أنها تمثّل مستوى من مستوياتِ التَّنَاص، فالقراءاتُ -المتواترة- تَصُبُّ كلُّها في اتِّجاهٍ واحدٍ، فَكُلُّها هي القرآنُ -كرسالة إلهيَّة- ولا خلافَ بينها، ولا تَفَاضُلَ في أنواعها، ولا تَعَارُضَ بينها، على الرغم من نُزوله على مدى ثلاثةٍ وعشرين عامًا، وهو ممَّا ينفي -بِشَكْلٍ قَطْعِيٍّ- أنَّه وحيٌ مِنْ بَشَرٍ، أو حَدَثَ فيه نوعٌ مِنَ التَّناقض، وفي اختلافِها اللهجيّ بُعدٌ تداوليٌّ في مدارِ مراعاةِ المقاماتِ والسِّياقاتِ بأطيافها المختلفة.

المطلب الرابع: كَيْفَ نَفْهم القراءاتِ في ضوءِ الأبعادِ التَّداوليَّة؟

إنَّ القرآنَ الكريمَ -بقراءاته المتواترةِ- وَحْيٌ مِنَ الله، وهوُ كَلَامُ رَبِّ العالمين، وَهُوَ نَصُّ المسلمين المقدَّسِ النازلِ مِنَ السَّماء، وهو ذلكَ النَّصُّ الَّذي يجبُ أن يَرقى فوقَ كُلِّ قَاعدة، ويعلوَ فوقَ أَيَّةِ نَظَرِيَّة أو مَنْهَجٍ مِنْ مناهجِ النَّقْدِ وَالتَّحليل، وأقولُ: إنَّ القراءاتِ القرآنيَّةَ بجميعِ دَرجاتها الصَّحِيحةِ المتواترةِ -أوِ الشَّاذَّة منها- تنسجمُ تمامًا مع رُوح التَّداولِ للنّصِّ، وهي فَتحٌ مُهِمٌّ في بابِ الدراساتِ اللسانية.

فلم يُعلمْ أنَّ القرآنَ قد استعصى على قارئِه العربيّ يومًا، فَكُلٌّ كان يقرؤُه بما وَافَقَ لهجتَه أو لغتَه، إلى أنْ جُمعتِ المصاحفُ في مصحفٍ واحدٍ استقرَّتْ عليه الأمَّة، واتَّحَدَتْ على تَواتُره، فانطلق به المسلمون في سائر الأصقاعِ يتلونه، ويُقيمون حُروفه، ويقفون عند حُدوده، ونحن نفهمُ القرآنَ بقراءاته المتواترةِ في ظلِّ قواعدِ الفَهْمِ، ووَفْقَ أصولِ التّأويل، التي

(١) ابن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**: ط١، ص: ١٨، ١٩، قال السيوطي: "متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها: ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء كانت عن السبعة، أو عمن هو أكبر منهم. ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، د.ط، (١/ ٢٥٨).

استقرَّ عليها العلماءُ، والتي تَدخل في إطارها الأبعادُ التَّداوليَّة التي لا تَصْطَدِمُ مع أيٍّ مِنْ هذه القواعدِ، أو تلكَ الضّوابط، وأَيُّ بُعْدٍ تَداولي يُخرجُ النّصَّ القرآنيَّ -بقراءاته- عن مقاصدِه، أو يَزيغُ بالقارئِ عن القواعدِ الحاكمةِ والأصولِ الضَّابطة فلا حاجةَ لنا به؛ فَالقرآنُ كتابُ اللسانيَّاتِ الأوَّل، بل هو مَنبعُها الثَّرُّ، وينبوعُها الزّخّار، وَلَسْتَ مُلْفِيًا كِتَابًا -كالقرآن- يستوعبُ كُلَّ علومِ اللسان، ومنها "التَّداوليَّة".

المبحث الثاني

"الإطار التطبيقي"

نماذج تطبيقية على تداولية السِّياق في القراءات القرآنية

المطلب الأول: قراءة (تَبْلو– تتلو):

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، قرأ حمزةُ والكِسائي وَخَلَف بتاءين من التلاوة "تتلو"، والباقون "تَبْلو" أي: "تُخْبر"، وقيل: "تَعْلَم". قال ابن كثير: أي "تَخْتَبر[2] كُلُّ نَفْسٍ، وَتَعْلَمُ مَا سَلَفَ مِنْ عَمَلِهَا"[3].

والفعلُ "تبلو" ليس المقصودُ به مُجرد الْعِلْم، بل ما يَستلزمُه هذا العلمُ مِن التَّحَقُّقِ والإقرارِ وَالتَّنَدُّم، وهذا يُظهرُ (موضوعيةَ الحُكْم، وعدالَة الحاكم)، فلا مَنَاصَ مِنَ العِرفانية والإقرار، واستحقاقِ الجزاء.

ويأتي السياقُ القَبْليُّ لهذه الآية[4] لِيُجَسِّدَ مَشْهَدًا حُضوريًّا ليومِ القيامةِ، وهذا المشهد يَحضرُه المخاطَبون بشُخوصهم، لتجري (المحاجَجَة) بين الخالقِ القَهَّار، والمشركين الكُفَّار، الذين يفتقرون إلى البَيِّنَة والحُجَّة، لِيَظهرَ الإذعانُ التَّام، والخشوع الذي لا تتحرك فيه ألسنتُهم إلَّا للإخبار بـ(تَبْلُو)، أو الإخبارِ بـ(تَتْلو)، والقرآنُ يَنْقُل المخاطَبَ نَقْلَةً زَمَكَانِيَّة[5] يَستحضر فيها مَشْهَدًا صَاخِبًا من مشاهد يومِ القيامة؛ مشهدٍ مَشوبٍ بالحركةِ الداخليةِ، والصمتِ المطْبِقِ مِنَ الإدهاشِ في آنٍ واحدٍ، وهو ما يُعطي تناقضًا يُحرِّك النفسَ المتشوفةَ المتطلعةَ إلى

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٠.

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق: ٩].

(٣) ينظر: ابن الجزري: **شرح طيبة النشر**، ٢٤٨، وينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، (٧/ ٣٥٩).

(٤) قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۖ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يونس: ٢٨، ٢٩].

(٥) نسبة إلى الزمان والمكان.

الخاتمةِ والنهايةِ. والمقامُ هُنا ليسَ مقامَ إنكارٍ، بل هو سِياقُ مفارقةٍ وَتَخَلٍّ، كُلُّ معبودٍ عَنْ عَابده، وهو كذلك سِياقُ اعترافٍ وانكسارٍ لِلْحَدَثِ كُلِّه.

وتنسجمُ هذه القراءةُ مَعَ السِّياقِ **الدَّاخلِ** في الآيات في نفس السُّورة، ومع السياق **الخَارجِ** في عموم القرآن، فالقرآن استخدمَ هذا الجِذْرَ بمعنى "بَلَو" وهو بمعنى "الاختبار"، وفي "الاختبار" تَثَبُّتٌ وتدقيقٌ، ومراجعة مع صحيفة منشورة، يُطابقُ فيها المخاطَب المختَبر تفاصيلَ أعماله.

وأما قراءة "تَتْلو" فقد "قال الأخفش[(١)]: "تَتْلُو مِن "التِّلَاوة" أي: تقرأُ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ، وَحُجَّتُه قولُه: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ "[(٢)].

كما أن هذه القراءةَ بـ"تتلو" تَتماهى وحالَ المخاطَبِ المضطربِ الذي يَنعقد لسانُه مع كل كَبيرة ارتكبها، فَتَوَالي (التَّاءين) يُظْهِرُ تَلَعْثُمَه وَتَحَيُّرَه حَالَ القِرَاءَةِ وَالْإِقْرَار، أَوْ تُظْهِرُ كذلكَ جَرَيَانَ لِسَانِه بأعمالِه حيثُ لا مَحِيص.

وهذا ينسجمُ مع سِياق "تبلو" أي: تعلم، وقيل: معناه تَتْبَع[(٣)] مَا عَبَدَتْ مِنَ الشّركاء، أو تَتْبَعُ مَا قَدَّمت مِنْ خَير وَشَر، وهذا يَتَّفِقُ مع التَّسْييق القَبْلِيّ في الحديث عَنِ الشُّرَكَاء، أو التَّسْييق البَعْدِيّ الوَارِدِ في التَّذْكِير بِالنعم.

كما أنه سِياقَ المسئوليةِ الفرديةِ (بالعلم- والتلاوة) فَكُلُّ نَفْسٍ تَتْلو، والمقامُ يقتضي أن هناك مُستمعين بقرينةِ وجودِ التَّالين، ولذلكَ القرآنُ لم يذكرْهم؛ لأن كُلَّ نَفْسٍ مشغولةٍ بِقضيتها عن حال غيرها. والفعلُ "تتلو" يتضمنُ **استلزامًا حِواريًّا** منَ التَّنَدُّم والتَّحَسُّر، وهو

(١) أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي البصري، النحوي المعروف، له تفسير معاني القرآن (ت ٢١٥هـ).

(٢) أبو زرعة، عبد الرحمن بن زنجلة، "**حجة القراءات**"، تحقيق: سعيد الأفغاني، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت، ص٣٣١.

(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧].

كذلك **فِعلٌ تأثيري** لمن يقرأُ الآياتِ ويتدبرُها وهو غيرُ حاضرٍ هذا المشهدَ التصويري الذي يَموج بالحركةِ النفسيةِ والعاطفية.

وهذا الجوُ المنسجمُ من التَّسييق يُؤدي دورًا تصويريًّا من خلالِ القيامِ بما يُسَمَّى بِتكثيف الرؤية ZOOM على كل مخاطَبٍ بعينِه، فـ"كُلُّ نَفْسٍ تَتْلُو" لِنَشعرَ نحن –المترقبين– أنَّه لا أحدَ يتكلمُ، أو يعلمُ إلا هُو، ونلمح كذلك فَوْقِيَّةً لِلمتكلمِ –اللهِ عَزَّ وَجَلَّ– وهو المسيطرُ على المشهد، الَّذِي أعطى القدرةَ لأعدادٍ غيرِ محدودةٍ من الخَلق –الذين لم يَجزمِ القرآنُ بِكُنْهِهِمْ مِنَ البشرية وعدمِها– لِيتلو كُلُّ وَاحدٍ صحيفةَ عملِه، أو يتبعُ شريكَه إلى المصيرِ الموعودِ.

والسياقُ مع هذه القراءة (تتلو) سِيَاق أوامرَ مباشرة "مَكَانَكُم"، وغيرُ مُباشرة "نَحشرهم"، فـ"زَيَّلْنَا" بأمر اللهِ الملائكةَ، أو أمرِ الملائكةِ المشركين، وهو بعد ذلك سياقُ الإقرارِ والاعتراف.

وهذا المشهدُ كذلك "مَشهدٌ حَيٌّ أَبلغُ مِن الإخبارِ المجردِ بِأَنَّ الشركاءَ والشفعاءَ لن يَعصموا عُبَّادَهم مِنَ الله، ولن يَملكوا لهم خَلَاصًا ولا نجاة"(١).

وتتضحُ أركانُ هذا المشهدِ الحُضوريّ التَّخَيُّلِي فيما يلي:

١– المتكلم: يَتَّصفُ المتكلمُ –الله عز وجل– بِالسلطة المطلَقَة، والعُلو، وامتلاكِ ناصيةِ الخطاب، وتبدو قوةُ المخاطِب في إسنادِ الأفعال إلى ذاتِه "نحشرُهم"، وقوله: "نقول"، وقوله: "زَيَّلْنَا".

٢– المخاطَب: يقومُ بتجسيدِ دَورين (مُستمع– مُتحدث) في آنٍ واحدٍ، فهو مُستمع لا يملكُ إلا التَّسليمَ والإقرارَ بما قَدَّم، والإذعانَ لمصيره الذي يقرأُ مقدماتِه بنفسه.

وهو –كَمُتَحَدِّث– تَالٍ: في موقف عِرفاني إقراري بِكل مَا قَدّم، كَما أنه مُتَحَسِّرٌ على تَفريطه؛ لأنه يقرأُ جريمتَه بنفسِه، ولا يستطيعُ معها النُّكْران.

(١) سيد قطب: **في ظلال القرآن**، د.ط، (٢/ ١٧٨٠).

٣- موقفُ التَّحاكم والتَّقاضي: هو موقفٌ شاخصٌ ظاهرٌ، لا تَحَدُّثَ فيه إلا مِنْ إقرارِ المُذْنبين المقِرّين، ونلمح فيه تَوقيفًا لِلمشركين -عَابدين ومعبودين- كالمجرمين الفارّين من جريمتهم: {مَكَانَكُمْ أَنْتُم وَشُرَكَاؤكم}.

٤- السِّياق: السِّياق القَبْلِيُّ: يظهرُ السياق القبليُّ لهذه الآية بقراءتيها قوةَ المتَكَلِّم، وذُعْر المخاطبِ وتَخَوُّفه.

السِّيَاق القِرائي: يأتي التسييقُ اللغوي في الآية ليصور لنا حَالًا مِنَ التَّباعُدِ والتَّنَافُر حين قال "هُنَالك"، وهذه الظَّرفية بـ(هنا) تؤكدُ الاستقرارَ وعدمَ الفِرَار، "وَقَدَّم هذا الظَّرْفَ للاهتمام به؛ لِأَنَّ الغرضَ الأهَمَّ من الكلامِ لِعِظَمِ مَا يَقع فيه"[(١)]، واللام التي لِلتَّبْعِيد، والكاف الدَّالة على المواجهة والتَّحدي.

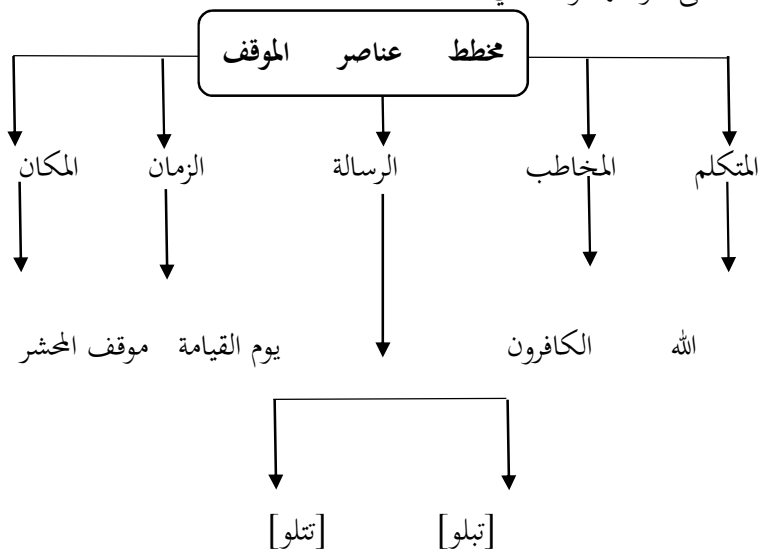

المطلب الثاني: قراءة (يقص- يقض):

(١) الطاهر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ط: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م، (١١/ ١٥٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧﴾[(١)].

تمهيد:

يأتي الخِطابُ القرآني في هذه الآية مُتَساوِقًا -بِالقراءتين- مع ما قبلَه منَ الآياتِ التي صُدِّرَت بـ(قُل)، وهو فِعْلٌ ذو صِبغة **تبليغية**، ينهضُ به المرْسَل -محمدٌ ﷺ- في مواجهةِ قومٍ منَ الكافرين المعَانِدِين، والآيةُ تشتملُ على عِدَّةِ مقاطعَ جُمَلِيَّةٍ قصيرةٍ تقع على قلبِ المتلقي فتُبقيه في حالةٍ مِنَ التَّوترِ الدائمِ لسماعِ محتوى الرسالةِ القرآنيةِ المتضمَنة في كُل جملة.

القراءة: (يَقُصُّ- يَقْضِ):

أولًا: قراءة: (يَقُصُّ): "قرأ نافعٌ، وابنُ كثير، وعاصمٌ، وأبو جعفر "يَقُصُّ" بِضَمِّ القاف وبالصاد المهْمَلَة"[(٢)]، وهذه القراءةُ تنسجمُ مَع ما أَخبرَ عنه القرآنُ فيما تقدم هذه الآيةَ مِنَ الآيات -في هذه السورةِ، أو في عمومِ القُرآن- فقد أخبر الله تعالى عَنْ كثيرٍ من أحوالِ عبادِه ومصائرِهم.

وَالْقَصُّ: "مِنَ الاقتصاص، وهو اتّباعُ الأثرِ؛ أي: يجري قَدَرُه على أَثَرِ الحَقِّ، أي على وَفْقِه، أو هو مِنَ القَصَصِ[(٣)]، وهو الحِكَاية، أي: يحكي بِالحق؛ أي: إِنَّ وَعْدَه واقعٌ لا محالةَ فهو لا يخبرُ إلا بالحقِّ"[(٤)].

قال الشَّوكاني: "هو مِن القَصص؛ أي: يَتَّبِعُ الحَقَّ فيما يَحكمُ به"[(١)]، أو المعنى: "يقولُ الحق ويتبعه في بيان جميع أحكامه"[(٢)].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٧، والسورة: مكية.

(٢) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، (٢/ ٢٥٨)، وينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، د.ط، (٧/ ٢٦٨)، وينظر: **الشوكاني، فتح القدير**: مرجع سابق، ط١، (٢/ ١٤٠).

(٣) **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾ [النمل: ٧٦].

(٤) ابن عاشور: **التحرير والتنوير** د.ط، (٧/ ٢٦٨)، وقال في موضعٍ آخر: "والقص: الإخبار، يقال: قص عليه، بمعنى أخبره".

والمعنى: أنه سبحانه "يَقُصُّ القَصَصَ الحَقَّ"(٣)، فهو سبحانه: "يَقُصُّ عَلَى رسولِه القَصَصَ الحقَّ في جميعِ أخباره ووَعْدِه ووَعِيده، أو يَتَتَبَّعُ الحقَّ ويُصِيبُه في أقوالِه وأفعالِه الَّتي يَتصرفُ بها في عباده"(٤).

والفعلُ (يَقُصّ- قَصَصَ) فِعْلٌ مُضَعّفٌ بحرفِ الصَّاد، يَتَنَاسب بِنيويًّا مَع لفظِ (الحَقِّ) المضَعّفِ كذلك (حَقَّقَ)، وتَعَدَّى بنفسه؛ لأنه بمعنى "صَنَع"، وانتصبَ "الحقُّ" على المفعولية، أو على أنه صفةٌ لمصدر محذوف؛ أي: يَقُصُّ القَصَصَ الحَقَّ(٥).

القراءة الأخرى: (يَقْضِ):

قرأ العَشَرَةُ -غير نافعٍ، وابنِ كثير، وعاصمٍ، وأبي جعفر- "يَقْضِ" بإسكان القاف وكسر الضاد معجمةً مِنَ القَضَاء(٦)، وعلى هذه القِراءة فـ(يَقْضِ) هو مضارعُ الْفِعْل (قَضَى)، وَكُتِبَ بِغَيْرِ يَاءٍ لوجودِ نظائرِه في القرآن(٧).

ويُرْجِعُ صاحبُ "المنار" اختلافَ القراءتين، فيقولُ: "لَمَّا كانتِ المصاحفُ غيرَ منقوطةٍ كانتِ الكلمةُ في المصحفِ الإمامِ هكذا "يَقُصُّ" فَاحتملتِ القراءتين"(٨).

=

(١) الشوكاني، مُحَمَّد بن علي: **فتح القدير**، ط١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ، (٢/ ١٤٠).

(٢) الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي: **روح البيان**، د.ط، بيروت، دار الفكر، د ت، (٣/ ٤١).

(٣) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١، (٢/ ١٤٠).

(٤) مُحَمَّد رشيد رضا: **تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"**، د.ط، (٧/ ٣٧٩).

(٥) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**: ط١، (٢/ ١٤٠).

(٦) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، (٢/ ٢٥٨)، وينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، د.ط، (٧/ ٢٦٨).

(٧) ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥]، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤].

(٨) مُحَمَّد رشيد رضا، **تفسير المنار**، د.ط، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، (٧/ ٣٧٩).

ويؤيدُ هذه القراءةَ قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ﴾[١]، وعليه تكونُ هذه القراءةُ "مِنَ الْقَضَاء: أي يَقْضِي القضاءَ بين عباده"[٢].

قال ابنُ عاشور: "والفصلُ يُطْلَقُ بمعنى القضاء"[٣]، فاللهُ عز وجل "هو خَيْرُ الفاصلين؛ أَيْ: بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ بما يقضي به بينَ عبادِه ويُفَصِّلُه لَهم في كتابه"[٤].

وانتصبَ "الحَقّ" كذلك في هذه القراءة "على المفعولية، أو على أنه صِفةٌ لمصدرٍ محذوف؛ أي يَقْضِي القضاءَ الحقّ"[٥]، أو يصنعُ الحقَّ ويُدبره[٦].

وقراءة (يقض) "تُناسب **السياقَ اللاحق** {وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِين}؛ فَأَلْفَاظُ (البَيّنة، يَقْضي، الحَقّ، الفَاصلين) كُلُّها تُراعي سياقَ موقفِ التَّحَاكم والتَّقاضي وإصدارِ الأحكام، وبذلك يَعُودُ عَجُزُ الآيةِ إلى صَدْرها، كما يُناسبُ هذه الآيةَ سياقُها اللاحقُ بعدها، والمشحونُ بمثل هذه الألفاظ –التَّحَاكُمية– في ختامِ مشهدِ التَّحاكمِ والتَّقاضي، والظَّاهرةُ في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٧].

ويبدو (حاملُ الخِطَاب– النبي ﷺ) في موقفٍ شديدِ الشَّفافية في عمليةِ البلاغِ، فما هو إلا حاملُ وَرَقَةِ (الدَّعوى) وهي (البَيّنة) مِن رَبِّه (المرسِل)، فلا سلطانَ له؛ فالأمرُ مَوكولٌ إلى رَبهم، ولا يملكُ لهم مَا يستعجلون به، والله هو وحدَه خَيْرُ الفاصلين.

(١) سورة غافر: الآية ٢٠.

(٢) الشوكاني، **فتح القدير**: ط١، (٢/ ١٤٠).

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**: د.ط، (٧/ ٢٦٨).

(٤) الشوكاني، **فتح القدير**، د.ط، (٢/ ١٤٠).

(٥) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١، (٢/ ١٤٠).

(٦) البيضاوي، عبد الله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ، ط١، (٢/ ١٦٥).

(٧) سورة الأنعام: الآية ٥٨.

وهو سبحانَه "لا يَحكمُ إلا بما هُوَ حَقٌّ، فتأخيرُ العذابِ حَقٌّ ثَابتٌ جَارٍ على حِكْمَةٍ بالِغةٍ، وأصلُ الحُكمِ المنْع، فكأنه يَمنعُ الباطلَ عن مُعارضةِ الحقِّ أوِ الخَصمِ عنِ التَّعدي على صاحِبه، وقوله: {وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِين} اعتراضٌ تَذييلي مُقَرِّرٌ لمضمونِ ما قبلَه، مُشيرًا إلى أنَّ قَصَّ الحقِّ هَاهنا بطريقٍ خاصٍّ، هُوَ الْفَصْلُ بَيْن الحقِّ والباطلِ"(١).

ويظهر الاتِّساق بين القراءتين في: أن الله سبحانه هو الذي يقصُّ الحقَّ، ويخبرُ به، وهو كذلك الذي يَقضي في الأمرِ ويفصلُ فيه(٢).

مخطط موقف التقاضي (٥-٤)

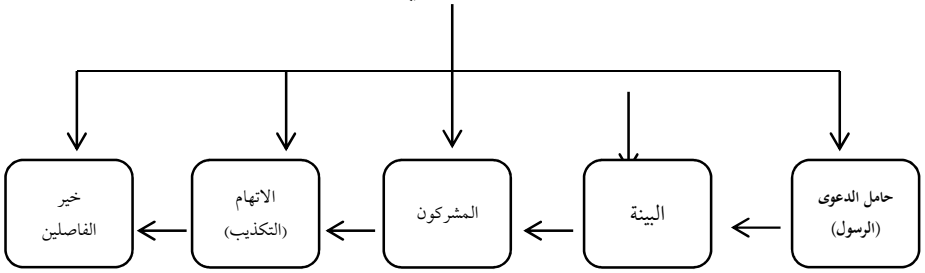

المطلب الثالث: قراءة (قَاتَلَ- قُتِلَ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣).

القراءة (قَاتَل- قُتِل):

(١) إسماعيل حقي، **روح البيان**، د.ط، (٣/ ٤١).
(٢) سيد قطب: **في ظلال القرآن**، د.ط، (٢/ ١١١١).
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

سياقُ نُزولِ الآية: قال عَطية العوفي[١]: "لمّا كانَ يومُ أُحدٍ انهزمَ النَّاس، فقال بعض النَّاس: قد أصيبَ محمدٌ ﷺ فأعطوهم بأيديكم، فإنما هُم إخوانكم. وقال بعضُهم: إنْ كان مُحَمَّد ﷺ قد أصيب، ألا تمضون على ما مَضَى عليه نبيُّكم حتى تَلحقوا به؟ فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[٢] إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾[٣][٤].

ومع هذا السياقِ المقاميّ السابقِ يظهرُ جَلِيًّا السياقُ العَاطفي هو سياقُ التّحفيزِ لنُصْرَة الحَقّ، والدفاعِ عن المبدأ، والذي يُبْرزه السياقُ اللغوي من خلال مُفرداتٍ ذاتِ حُمولة دَلاليةٍ واسعةٍ تُقدمها لنا مفرداتُ (كَأَيّن= الكثرة)، (مِنْ نَبِي= الكثرة)، (قَاتَل= المفاعلة والمداومة)، (مَعَه رِبِّيُون= الحصر)، (فَمَا وَهَنُوا، وَمَا ضَعُفُوْا، وَمَا اسْتَكَانُوا= نَفْيُ الْفِعْلِ وَرَاءَ الْفِعْلِ)، (في سبيلِ الله= مَدْحٌ وَحَثٌّ على الإخلاصِ)، (يُحِبُّ الصَّابِرِينَ= حَثٌّ وَتَحْفِيز).

كَما يَتجلى في السِّياق اللغوي صِيغةُ الجمعِ التي لا يَنهضُ مجتمَعٌ إلا بها، ويَظهرُ هُنَا أثرُ الوَقْفِ والابتداءِ، فَمَنْ وَقَفَ على ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ ﴾[٥] يَشِي بِأَنَّ القَادَةَ فِي المقَدِّمَة دَوْمًا، لا في القُصور يَبيعون جُنُودَهم، ثُم يكونُ قَوله تعالى: {مَعَه رِبِّيُون} إِشْارَةً إلى ضرورةِ اتّخَاذِ مُنَاصِرِين رَبَّانِيين لا أصحابِ مَصَالحَ وأهواء، كَالذين رَجَعُوا بالجيشِ في أُحُدٍ مِنَ المنافقين.

(١) عطية بن سعد بن جنادة، واشتهر بـ: عطية بن سعد العوفي القيسي, الجدلي, الكوفي ، وضعه العلماء في رتبة: ضعيف الحديث، (ت ١١١هـ).

(٢) من سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) من سورة آل عمران: ١٤٦.

(٤) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط١، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ط١، ص١٢٩.

(٥) من سورة آل عمران: ١٤٦.

ولا يَظْهَرُ في مَشهدِ الآيةِ نَبِيٌّ مُعَيَّن، ولا رِبِّيُّون مُحَدَّدُون، فالآيةُ قانونٌ لِلمؤمنين – عمومًا– في النَّجْدَةِ وَالنُّصْرَة، بل هي خطابٌ إنسانيٌّ عَام، "فالمثلُ الذي يَضربه لهم هُنا مَثلٌ عامٌّ، لا يُحَدِّدُ فيه نَبِيًّا، ولا يحددُ فيه قَوْمًا؛ إنما يَربطُهم بموكبِ الإيمانِ، ويُعلمهم أدبَ المؤمنين، ويصورُ لهم الابتلاءَ كأنَّه الأمرُ المطَّرِدُ في كُلِّ دعوةٍ وفي كل دين، ويربطُهم بأسلافهم من أَتباعِ الأنبياء؛ لِيُقَرِّرَ في حِسِّهِم قَرابةَ المؤمنين للمؤمنين، ويُقِرُّ في أخلادهم أن أمرَ العقيدةِ كُلَّه واحد"(١).

ويظهرُ هنا –كَذلك– **السياق الاجتماعي والثقافي** لِأُمَّةِ الْعَرَبِ التي تَتَّصِفُ بِالنَّخْوَةِ والنَّجْدَة، كما يظهرُ الجانبُ التّداوليُّ الذي ينطبق على كل حالة مماثلة بغض النظر عن جُغرافية الزمان، أو محدودية المكان.

فالقرآنُ هُنا يَتداولُ الحدثَ التاريخي، ويستعملُه في تغيير الواقع، ويوظفُه في صناعةِ النفوس التَّواقَة، والهممِ العالية، والقرآنُ هنا –كذلك– يستحضرُ التاريخَ شَاخِصًا أمامَ العِيان ليربطَ الماضي بالحاضرِ بِالمستقبل، ولِيَضَعَ قانونًا في نُصرة الدعواتِ والمبادئ، قَوامُه البذلُ ورمزيةُ القَائد.

والسياق القبلي لهذه الآية يتحدث عن موتِ الرسولِ، بل موتِ الناس جميعًا ليقررَ القرآنُ أن هذا الموتَ هو سنةُ الحياةِ الأبدية، ولكن القرآنَ يَشِي من طَرْفٍ خَفِيّ إلى ضرورة انتزاعِ الحياة في ميادين الجهادِ بالالتفاف حولَ الأنبياء، فانتقل مِن (الموت) إلى (القتل في سبيل الله). ويأتي **السياقُ البَعديّ** مُتَمِّمًا لهؤلاء الثابتين في الميدان، الدّاعين بالثبات والنصرة، لِيأتي ثوابُ الله لهم في الدنيا بالنصر والتمكين، ثم بدخول جناتِ النَّعيم في الآخرة.

القراءة الأولى: (قَاتَل):

(١) سيد قطب: **في ظلال القرآن**، د.ط، (١/ ٤٨٨).

"قرأ ابنُ عامر، وحمزةُ، وعاصمُ، والكسائيُّ، وخَلَفُ، وأبو جَعفر: (قَاتَل) بصيغة المفَاعَلَة"(١).

"فمن قَرَأَ "قَاتَلَ" فَمَعناه :كَم مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَه جُمُوع كَثيرة"(٢).

ويكونُ المعنى: "وكأيّن مِن نَبِيٍّ قَاتل أَعْدَى الْعَدُوّ الَّذِي بَيَن جَنْبَيه، وَمَعَه رِبِّيُّون مُتَخَلِّقُون بأخلاق الرَّبِ، فما وَهَنُوا لما أصابهم من تَعَبِ المجاهدات، وما ضَعُفوا في طلبِ الحقِّ، وما استكانوا باحتمالِ الذِّلَّة والالتفاتِ إلى غير الله"(٣).

ويؤدي الوقفُ والابتداء هنا دورًا أساسيًّا في بيان المقصود: "فإذا وُقِفَ عِنْدَ كلمة "قَاتَل" كان المعنى أن أنبياءَ كثيرين قَتَلَهُم قومُهم وأعداؤهم، ومع الأنبياء أصحابُهم، فما تَزلزلوا لقتلِ أنبيائهم، فكان المقصودُ تأييسَ المشركين من وَهَنِ المسلمين على فرض قَتْلِ النبي ﷺ في غزوتِه على نحو قوله تعالى في خطاب المسلمين"(٤).

القراءة الثانية: (قُتِلَ):

قرأ نافعٌ، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوبُ: (قُتِلَ) بصيغة المبني للمجهول(٥،٦).

والمعنى على هذه القراءةِ: "وكأين من نَبِيٍّ قُتِل ممن كان مَعه وعلى دينه رِبِّيُون كثير، فما ضَعُفَ الباقون وما استكانوا لقتل مَن قُتِلَ مِن إخوانهم، بل مَضَوا على جهاد عَدوهم، ثم إنه تعالى مَدَح هؤلاء الربيين بصفات، وذلك قوله: {فما وَهُنوا} ... إلخ، ولا بد من تغايرها، فقيل: فما وهنوا عند قتل النبي ﷺ وما ضَعُفوا عن الجهاد بعده وما اسْتَكَانوا لِلعدو؛ أي: لم

(١) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، (٢/ ٢٤٢)، وينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، د.ط، (٤/ ١١٨).

(٢) السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد بن أحمد: **بحر العلوم**، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م، (١/ ٢٥٥).

(٣) النيسابوري: الحسن بن مُحَمَّد بن حسين، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ ، ط١، (٢/ ٢٧٦).

(٤) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، د.ط، (١/ ٨٢).

(٥) ينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** (٢/ ٢٤٢)، وينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**: د.ط، (١/ ٢٥٥).

(٦) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، د.ط، (٤/ ١١٨).

يَخْضَعُوا له، وفيه تعريض بما أصابَ المسلمين من الوَهَنِ والانكسارِ عن الإرجافِ بِقَتْلِ رسول الله ﷺ، وبضعفهم عند ذلك عن جهادِ الكفارِ واستكانتهم لهم"(١).

وقد جاءتْ هذه الآيةُ بقراءتيها "على هذا النَّظْمِ البديع الصالحِ لحَمْلِ الكلامِ على تَثبيت المسلمين في حالِ الهزيمةِ، وفي حَال الإرجافِ بِقَتْلِ النبي ﷺ ... ومحل العبرة هو ثباتُ الرَّبانيين على الدين مع مَوْتِ أنبيائهم ودُعاتهم"(٢).

المطلب الرابع: قراءاة (أَفَتُمَارُونَه- أَفَتَمْرُونَه):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾(٣)، قرأ "حمزةُ، والكسائي، وخَلَفٌ، ويعقوبُ: أَفَتَمْرُونَه ...، وقرأ الباقون ..."أَفَتُمَارُونَه"(٤).

السِّياق المَقامي:

جاءتْ سورةُ "النَّجم" مُنسجمة مع السورة التي قبلها "سورة الطُّور" على مستوى الحِجَاج الذي أقامه القرآنُ على المشركين في أكثرَ من عشرينَ آية، خُتمت بها سورة "الفتح" التي خُتمت آخرُ آيةٍ فيها بقوله: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾(٥) لتبدأ هذه السورة بقوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾(٦).

ويُظهر هذا ما بين السورتين من وَحْدَةٍ سِياقية، ثم تأتي الآية التي بين أَيْدينا – بقراءتيها- لتتصل بالسياق السَّابق لها، والسّياق اللاحق عليها في ذاتِ السورة في إطار

(١) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ط١، (٢/ ٢٧٤).
(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، د.ط، (٤/ ١١٨).
(٣) من سورة النجم: الآية ١٢.
(٤) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** (٢/ ٣٧٩)، وينظر: ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ط٢، (٢/ ٣٧٩).
(٥) من سورة الطور: ٤٩.
(٦) من سورة النجم: ١.

ضَرْبٍ من المحاججة مع نَفَرٍ مِن مشركي مكة لم يَكُفُّوا عن مُماراة النبي ﷺ في شأن مشاهدَ عُلْوِيَّة رآها عَيانًا في الملأ الأعلى، ومع ما يَمرون عَليه في رحلاتهم إلى بلاد الشام من مشاهدَ أرضيةٍ، يعلمون حقيقتَها، لتتلاءم سِياقيًّا مع اسم السُّورة "النجم" المقتضي الرِّفْعةَ والعُلو عن كل دَنَايا المعاندين الجاحدين.

وقِراءة: "أَفَتَمْرُونه" بمعنى: "أَفَتَغْلِبُونَه في المِراء، مِن مَارَيْتُه فَمَرَيْتُه[(١)]، أَو بِمعنى "أَفَتَجْحَدُوْنَه"؛ لأنَّ مجادلتَهم جحودٌ، وكل مُجادِلٍ جَاحد[(٢)]، وَمِنْ ذَلك "المارِية مِنَ الْقَطَا الملساء، وامْرَأَةٌ مَارِية بَيْضَاء بَرَّاقة"[(٣)].

وَالتسييقُ اللغوي بين اللفظين وَاضح، فالجحودُ ذريعةُ العاجزِ، وهو لا **يَعْلَقُ** بحُجةِ الأقوياءِ الراسخين، ولا يَصْمَدُ أمامَ سُلطانهم، كما تظهرُ هذه المسايَقَةُ في الجملِ القصيرة التي بُنيتْ عليها آياتُ السورة؛ لِتقرعَ آذانَ السامعين، وتجعلَ المخاطَب دَومًا في حالةِ استنفارٍ سَمعيّ وعقليّ ونفسيّ، والمتكلمُ وهو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قد تَوَلَّى مبدأَ الحِجاجِ والدِّفاع عن نَبِيّه، وهذا يمنح القضيةَ شُروطَ نجاحِ القول والمحاججة.

يقول الزمخشري: "أفتمرونه" أي: أَفَتَغْلِبُونَه في المماراة مَع مَا يَرى، أي: أَفَتطمعون في الغَلَبَة أو تَدَّعُونها، أو هو إِنكار لِتَأَتِّي الْغَلَبة"[(٤)].

(١) الزمخشري، محمود جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، د.م، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، (٤/ ٤٢١)، وينظر: السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، د.ط، (١٠/ ٨٩).

(٢) الواحدي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ط١، (٤/ ١٩٧).

(٣) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي: **المحكم والمحيط الأعظم**، ت: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، (١/ ٣١٥).

(٤) الزمخشري، **أساس البلاغة**، ط١، ٢٠٩، وينظر: **روح المعاني** للآلوسي، (١٤/ ٤٩)، وينظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للبيضاوي (٥/ ١٥٨)، ونص عبارته: "فإن الماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم".

وهذا الفعل المتضمن في "أتمرونه" هو فِعلٌ كلاميٌّ من أفعالِ الإيضاح(١)، الَّذي يحمل إنكارًا واعتراضًا على المشركين باستخدام علامةِ الاستفهامِ "الهمزة" –وهو حرف حَلْقي وكأنَّ المماراةَ غُصَّة– مُحَقِّقًا بذلك بُعدًا مَقاصديًّا يتمثل في غلبةِ الخصمِ وإقامةِ الحجة عليه.

وإسقاطُ الألفِ كعلامةٍ بعد الألفِ في هذه القراءة، تُظهرُ خِفَّة ما يذهبون إليه، وسرعةَ مُروره وانزلاقِه أمام الحُجّةِ والبَيّنة، وخِطَابُهم بِعلامةِ الجَمْعِ –الواو– دَليلٌ على تَظاهرهم في الجَحْدِ وَالنُّكور.

وهذا الفعلُ يحملُ إنشاءً صَريحًا من خلالِ ذِكر الفعلِ مع فاعلِه، وَخَتَمَ بِذِكْر مَفعوله أيضًا لِيَشِيَ بِالملابسة بين أطرافِ الفعل التَّلَفظِيّ، والذي يحمل كذلك تأثيرًا مقصودًا في المخاطَب ليبتعدَ عن الوقوفِ في وجهِ الحقّ، والتَّعَانُد معه، وَعُدِّي الفعلُ "مَرَى" بـ"عَلَى" عَلى سبيل الاقتضاء، فهو يَتَضَمّن(٢) معنى الفعل "غَلَب"(٣) وهي تُوحي بالاستعلاء الذي يَتَذَرَّعُ به أهلُ الباطلِ في مُدَافعة أهلِ الحِق.

وجاءَ السّياقُ بصيغةِ المضارعِ "يَرَى" وإن كانت الرؤية قد مَضَتْ إشارة إلى ما يمكن حُدوثُه بعدُ(٤)، وذلك على حكاية الحالِ الماضية استحضارًا للحالةِ البعيدة في ذهن

(١) وهو من الأفعال التوجيهية كأفعال الطلب والسؤال كما يرى "سيرل".

(٢) الزمخشري، **الكشاف**، ط٣، (٤/ ٤٢٠).

(٣) الزبيدي، مُحَمَّد بن عبد الرزاق: **تاج العروس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط، د.م، دار الهداية، د.ت، (٣٩/ ٥٣٢)، وينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، د.ط، (٢٧/ ١٠٠)، وينظر: ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، د.ط، (٥/ ٥٠٢).

(٤) الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ط١، (٢٨/ ١١٣)، وينظر: الزمخشري، **الكشاف** (٤/ ٤٢٠)، وينظر: **الدر المصون** (١٠/ ٨٩).

المخاطبين[١]، وفيه تَقريع لهم بِفِعلٍ غيرِ مُباشر، فالرؤيةُ هُنا رؤيةُ العين، فكيف يجحدونَ مع يقينهم بِصِدْقِه في نَقْل الخبر، وحُذِفَ مَفعول "يَرى" علامةً على سُطوع الحقيقةِ التي يأباها الجاحدون.

والقراءتان "أفتمارونه، أفتمرونه" بَينهما تَعَالُقٌ نَصِيٌّ؛ فالمجادلة في الغالبِ إنما تكون ممن يريدُ التثبت –ولم يكن هذا بالطبع من مَقاصدهم– أو مِن جاحدٍ، يُريد أن يَغلبَ مَن جاء بهذا المجحود بالحجة[٢]، والمعنيان متقاربان؛ لأن مجادلتهم جحود، وكل مجادل جاحد[٣].

يقول ابنُ عاشور: "ومعنى القراءتين مُتقارب[٤]، فهذا الجدالُ على القراءةِ الأولى ليس جدالَ تبيينِ حقائق، وإنما جدالٌ من أجلِ الجَحْدِ ودَفْعِ هذه الحقيقة.

فالجدالُ في القراءة الأولى "أفتمارونه" كان "أغلبَ في هذا الموضعِ للإنكار عليه، أي: تجادلونه فيما رَأَى وعلم، وأما الجحود –في قراءة "أَفَتَمْرُونه"– مِنهم فقد كان ذلك عامًّا فيما يأتيهم به الرسول ﷺ، والجدالُ في هذا الموضعِ كأنَّه أغلبُ، والمعنيان يتقاربان؛ لأن مجادلَتهم جحود، فيجتمع فيه الجحودُ والمجادلة"[٥].

نتائج البحث:

أجابت هذه الدراسة عن أسئلة البحث، وتوصلت إلى النتائج التالية:

– السياقُ آليةٌ قديمةٌ عُني بها الأقدمون، ومارسوها فَهمًا وتطبيقًا.

(١) القنوجي، مُحَمَّد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، راجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، (١٣/ ٢٥١).

(٢) **التعليق على تفسير الجلالين : عبد** الكريم بن عبد الله حمد الخضير (مفرغ من دروس صوتية)، ص١٥.

(٣) الواحدي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ط١، (٤/ ١٩٧).

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، د.ط، (٢٧/ ٩٩)، وينظر: الطبري، **جامع البيان** (٢٢/ ٢٧).

(٥) الواحدي، **التفسير البسيط**، د.ط، (٢١/ ٢٧)، وينظر: **جامع البيان**، (٢٢/ ٥١٠)، وينظر: ابن القيم الجوزية، **التبيان في أقسام القرآن**، ص٢٥٣.

- السياقُ آليةٌ مُهمة في فهم وتوجيه وترجيح المعنى.
- السياقُ دالةٌ مُهمة في توجيه المرادِ من القراءةِ القرآنية.
- السياقُ يساعدُ في تماسكِ النَّص وترابطِه مَهما تعددتْ قراءاته.
- ضرورةُ استصحابِ أنواع السياقِ عند النَّظر في النَّصِّ القرآني.
- السياق –بأنواعه– كأداة تداوليةٍ يُساعد المتلقي على فَهْمِ تَقاليب أوجه القراءة القرآنية.
- السياقُ –بأنواعه– يؤُكد أنه لا تعارض بين القراءات القرآنية.

توصياتُ البحث

ويوصي البحث بما يلي:

- ضرورة الحذر من إسقاط المناهج النقدية واللغوية على النص القرآني.
- ضرورة استصحاب فهم علماء التفسير وعلماء العربية عند النظر في النص القرآني من المنظور الحداثي.
- النظر إلى القراءات القرآنية –بأنواعها– على أنها مصدر مهم من مصادر البحث اللساني.
- بناء منهجية لسانية وَفق النظرية اللغوية العربية في التعامل مع النص القرآني.
- العمل على إنجاز تفسير تداولي للقرآن الكريم في ضوء نظريات علم اللغة الحديث.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم (بقراءاته).**
- إبراهيم مصطفى، وآخرون: **المعجم الوسيط**، د.ط، القاهرة، دار الدعوة، د ت.
- الأنباري، مُحَمَّد بن القاسم: **الأضداد**، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٧م.
- إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة: **شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام، دراسة نحوية صرفية**، رسالة ماجستير، د.ط، دم، د.ن، ٢٠١٢م.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، د.ط، الرياض، مجمع الملك فهد، ١٩٩٥م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد: **دلائل الإعجاز**، ط٣، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٩٢م.
- ابن الجزري، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يوسف: **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي مُحَمَّد الضباع، د.ط: د.م، المطبعة التجارية الكبرى، د ت.
- ابن الجزري، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يوسف: **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، ط١، د.م، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.
- ابن الجزري: **شرح طيبة النشر**، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، ط: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.
- الخالدي، صلاح: **القرآن ونقض مطاعن الرهبان**، ط: دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م.

- الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي: **روح البيان**، د.ط، بيروت، دار الفكر، د ت.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق: أوتو تريزل، ط٢، د.م، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م.
- أبو درع، عبد الرحمن: **منهج السياق وأثره في فهم النص**. (http://www.m-a-arabia.com/site/٨١٩٧.html).
- درقاوي، مختار: **الآليات التداولية لتحليل الخطاب**، د.ط، د.م، د.ن، ٢٠١٤م.
- ابن دريد، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن: **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- رينهارت بيتر آن دُوزِي: **تكملة المعاجم العربية**، ط١، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، د ت.
- الزبيدي، محمَّد بن عبد الرزَّاق: **تاج العروس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط، د.م، دار الهداية، د.ت.
- أبو زرعة، عبد الرحمن بن زنجلة، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **أساس البلاغة**، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد: **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢هـ.
- الزمخشري، محمود جار الله، **الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، د.م، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

- السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد بن أحمد: **بحر العلوم**، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي: **المحكم والمحيط الأعظم**، ت: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: **الإتقان في علوم القرآن**، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- سيد قطب: **في ظلال القرآن**، د.ط، القاهرة، دار الشروق، د ت.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى: **الموافقات**، تحقيق: مشهور ابن حسن، ط١، السعودية، دار ابن عفان، ١٩٩٧م.
- شعبان مُحَمَّد إسماعيل: **رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة**، ط٢، د.م، دار السلام، د ت.
- الشوكاني، مُحَمَّد بن علي: **فتح القدير**، ط١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.
- الطاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، د.ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- عباس، فضل حسن: **غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن**، د.ط، الأردن، دار النفائس، ٢٠٠٧م.
- عبد الكريم يونس الخطيب: **التفسير القرآني للقرآن**، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د ت.
- عبد اللطيف الخطيب، **معجم القراءات**، د.ط، د.م، دار سعد الدين، د.ت.
- عكاشة، محمود، **النظرية البراجماتية اللسانية**، د.ط، القاهرة، مكتبة الآداب، د ت.
- العمادي، أبو السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، **مجمل اللغة**، تحقيق زهير عبد المحسن، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، د.ط، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- فرديناد دي سوسوسير، **في اللسانيات العامة**، ترجمة: يوسف غازي، مجيد نصر، د.ط، الجزائر، المؤسسة الجزائرية، ١٩٨٦م.
- فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، د.ط، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.
- القِنَّوجي، مُحَمَّد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، راجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، د.ط، بيروت، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، ١٩٩٢م.
- ابن قيم الجوزية مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب، **بدائع الفوائد**، د.ط، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، د.ت.
- الكفوي، أبو البقاء، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- مُحَمَّد بكر إسماعيل، **دراسات في علوم القرآن**، ط٢، الكويت، دار المنار، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- مُحَمَّد رشيد رضا، **تفسير المنار**، د.ط، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- مُحَمَّد يونس علي، **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، د.ط، د.م، دار الكتاب الجديد، د.ت.
- مسعود صحراوي، **الأفعال الكلامية عند الأصوليين**، مجلة اللغة العربية، عدد١، ٢٠١٤م.
- موريس أبو ناضر، **إشارة اللغة ودلالة الكلام**، د.ط، بيروت، دار مختارات، ١٩٩٠م.

- نحلة، محمود أحمد، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، د.ط، مصر، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
- النيسابوري: الحسن بن مُحَمَّد بن حسين، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
- الهرري، مُحَمَّد الأمين بن عبد الله الأرمي، **تفسير حدائق الروح والريحان**، إشراف ومراجعة: هاشم مُحَمَّد علي، ط١، بيروت- لبنان، دار طوق النجاة، ٢٠٠١م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي، **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، ط١، السعودية، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.